

من سعد الحصريّ إلى تركي السديري القرآن بلغة المظنّ والمجهل. نقد فكر زغلول المنجاري

بسم الله الرحمن الرحيم

من سعد الحصريّ إلى أخي في المدينّ وفي وطن أسس من أول يوم على منهج النبوة في المدينّ والدعوة الأستاذ/ تركي بن عبد الله السديري رئيس تحرير جريدة الرياض وفقه الله لطاعته وخدمته دينه.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أمّ بعد: فقد ذكرني مقالك بعنوان: (القرآن بلغة العلم) في العدد 12607 و12608 في اليومين الأخيرين بقول المتنبّي:

أعيذها نظرات منك صادقة*** أن تحسب المشّحم فيمن شحمه ورم

(1) وإذا تركنا الاستشهاد بشعر المتنبّي لغازي القصيبي وهو الأوّل - بل هو الواجب في مثل هذا الأمر - ورجعنا إلى كتاب الله الذي نأتيه الباطل من بين يديه ولما من خلفه وجدنا القول الفصل: (إن يتبعون إلا المظنّ وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى)، وما لهم به من علم إن يتبعون إلا المظنّ وإن المظنّ لا يغني من الحق شيئاً.

(2) والأستاذ زغلول المنجاري هدانا الله وإياه ليس بأوّل من قال على الله بغير علم فقد سبقه رشاد خليفة الذي بهر عقول أشباه العوام من المثقفين بادعائه أن كلّ سور القرآن تنقسم على رقم 19 أو مضاعفاته، وشجعه ذلك على تحديد يوم القيامة، ثم اتهم بادعاء النبوة واغتيل.

- وسبقه الكواكبي (ت1320هـ) للابتداع في التأويل بمثل ادعائه الإشارة إلى التصوير الشمسي في قول الله تعالى: (ألم تر إلى ربّك كيف مد الظلّ ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً، ولواء الابتداع معقود للشيخ طنطاوي جوهرى (ت1358هـ) في تفسيره الجواهر (26 مجلد) كثير من المضحكات المبكيات مثل عزوه تحضير الأرواح إلى قول الله تعالى: (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى) وقول الله تعالى: (أو كالذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها)، وأن الله يوجّهنا إلى ممارسة ذلك بطرقه المعروفة: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) على أن يكون المحضّر ذا قلب نقي خالص كما كان العزيز وإبراهيم وموسى فإننا مأمورين بالافتداء بهم: (فبهدهم اقتده) ج1 ص77-71 (من بدع التفاسير).

- وكلّ من وُلغ في تفسير كلام الله الميقيني بالمظنّ من الكواكبي إلى زغلول النجار ليس لهم من الإحاطة بشرح الله ولما بالعلوم الطبيعيّة ما يعذرهم في القول على الله والمانحراف عن منهاج النبوة وفقه القرون المفضّلة.

- ولكن اثنان من العلماء سبقوا الغربيّان والزغليل تجاوز الله عنّا وعنهم جميعاً: فكما فتح الغزالي (ت 505هـ) الباب للخلط بين المتصوّف والإسلام، فتح المياد للخلط بين الفقه والفكر في فهم نصوص الوحى؛ فادعى في إحيائه (ج 3 ص 135): أن القرآن يحوي [770.200] علم، ثم جاء المفسر الرازي (ت 606) فزاد المطين بلة في تفسيره (مفتاح الغيب - 8 مجلدات). والمثنان من أئمة المانحراف في الاعتقاد والتأويل.

3- يُظلم العلم الشرعي بدعوى: أن زغلول النجار: (تمكّن من العلوم الشرعيّة)؛ فلم يُعرف عنه تمكّن ولما اهتمام بالعلم الشرعي ولما دعوة إلى إفراد الله بالعبادة ونفيها عن أوّان المقامات والمزارات والمشاهد التي أحاط بها وأحاطت به أكثر سنوات عمره خلافاً لكل رسل الله ورسالاته، ولما نشر السنة ولما التحذير من البدع المحيطة به.

أما الدكتوراه في الجيولوجيا فلا يجيز له وأمثاله الاعتداء على تأويل كلام الله تعالى الذي أسقط عن مثله صفة العلم الميقيني الشرعي وإن كان له نصيب من العلم المظني الدنيوي: (ولكن أكثر الناس لا يعلمون* في علم من ظاهراً من الحياية الدنياء).

4) دعواه: خطأ حصر التعليم الديني بعلوم فقهيّة محدودة، ودليله: أن علماء الدّين الأوائل فيهم الطبيب والفيزيائي والفلكي ناتجة عن انحرافه عن منهاج العلم الشرعي وبُعده عن الفقه في دين الله، وبالتالي: وجوب إبعاده عن منابر الإعلام الديني والدعوة إلى الله وبخاصة في بلاد الدعوة إلى منهاج النبوة في الدين والدعوة؛ فليس بين علماء الأمة المعتد بهم في القرون المفضّلة طبيب ولما فيزيائي ولما فلكي ولما فيلسوف، وكانوا يحصرون العلم والتعليم الديني في الاعتقاد والعبادات والمعاملات من الوحى في الكتاب والسنة وفقه السلف في نصوصهما، ولم يلتفت المسلمون إلى المهن والفنون التي ذكرها إلما بعد مرحلة الضعف والانهيار بالفكر اليوناني والمهتام بترجمته واتخاذ منهجاً في الدنيا والدين ثم النسج على منواله.

- وما مثله إلما كمثال سيّد قطب تجاوز الله عنّا وعنه عندما خيّل له نقص منهاج التفسير في القرون المفضّلة لانشغالهم (بالمعاني والألفاظ والموضوعات الإلهية والتشريعية والأهداف الدينية التي تناولها) عن الجمال المضي في القرآن. (أنظر التصوير المضي في القرآن ص 22-28-180) أم سيّد فاستدرك النقص في القرون المفضّلة؛ فوصف آيات من سورة الفجر بالعرض العسكري الذي تشترك فيه جهنم بموسيقاها العسكرية (التصوير المضي ص 77)، وبالموسيقى الحادة المتناسيم (في ظلال القرآن ص 6903)، جاره مصطفى محمود فتحدث عن سمفونية الفاتحة - مثلاً -.

5) (الاجتهاد السلفي الواحد) هو وحده الحق، لقول الله تعالى: (وأنّ هذا صراطيّ مستقيمٌ فاتَّبِعْهُ وَلا تَتَّبِعْ عُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكَ عَنْ سَبِيلِهِ)؛ وخط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطأً وخطوطاً خارجةً عنه مبيّناً معنى الآية وأن عليّ المسلم اتباع الخط الواحد وتتجنب الخطوط الأخرى، وقال الله تعالى: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولى)؛ وهؤلاء هم المسلف الذين يؤخذ عنهم حتى تتحد الأمة على منهاج النبوة فلا تتفرّق بهم سبيل الفكر عن سبيل الله، وهم الأقرب إلى عصر النبوة وهم أعرف باللغة التي نزل بها كتاب الله قبل أن تفرّق لغة وسائل الإعلام المسلمين عنها،

وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: "عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديّين من بعدي"، وقال: "خير النّاس قرني ثمّ الذين يلونهم ثمّ الذين يلونهم".

(6) آيات الكتاب المبين: إمّا مُحْكَمَةٌ، عرف السلف الصالح معانيها وعملوا بها ولمن يأتي عالم - فضلاً عن جيولوجي - بخير ممّا هداهم الله له، وإمّا متشابهة، فلا يجوز البحث عن معانيها، قال الله تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ).

7 - لقد سبق النصارى إلى مثل هذا الانحراف -: "لتتبعن سنن من كان قبلكم" فحاولوا الاستدلال على صحة الإنجيل بموافقته للنظريات الكونية، ولمّا تغيّرت النظريات سقطت في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا، وأصيب المتدين النصراني المحرف بنكسة لم يفق منها إلا اليوم إن قدر الله حدوث ما يسّمى بالمصحوة الدينية لسبب وغاية لا يعلمها إلا الله.

وآخر ما أطلّعت عليه في هذا الطريق المعوجّ استدلال اليهود على صحّة التوراة بما ظهر من التّنقيب في وادي الأرض مبيّن أنّ ثمن الرقيق في عهد موسى موافق لما نصّ عليه في التوراة.

- ولما تظن أنّ اليهودي الذي ذكرته (سيغريّ من ثوابته العدائيّة للإسلام) إذا ادعى زغلول النجار أنّ (رقم سورة الحديد في المصحف 57 هو الوزن الذري للحديد، وأنّ آخر آية في السورة مع البسملة هي العدد الذري للحديد) كما ذكر في المجلة العربيّة عدد 296، ولكن قد يرضي اليهود والنصارى متابعة المسلم لهم في تحريف كتاب الله بتأويله بما يخالف سبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته وتابعيه رضي الله عنهم؛ قال الله تعالى: [وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ].

- وتأويله قول تعالى: (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب) مجرد ترديد لما قاله مصطفى محمود وأمثاله لا يقوله عالم بشرع الله، ولو قرأ الآية قبلها لعلّم أنّ ذلك في الآخرة: (ويوم ينفخ في الصور...) وقوله تعالى: (يوم تمور المساء مورا* وتسير الجبال سيرا). وقوله تعالى: (ويوم نسير الجبال...)،

- وقبل أن يشيّع أنّ الأرض كروية اتّضح لعلماء التفسير المعتدّ بهم بل للعامّي: أنّ للشمس كل يوم مطلع ومغرب، ولأهل اللغة الفصحى: جواز ذكر المشارق والمغارب جمعاً وتشنيّة وإفراداً، فكلّ ما يقوله: زخرف القول وغروره، إضافة إلى ادعائه التي يأخذها الصحفيون والعوام وأشباههم وينشرونها دون تثبّت عن عدد الذين أسلموا لما سمعوا تفسير يقين الوحي بظن الفكر العلماني، وأنّ العالم الأوروبي المجهول أفرط في ذكر الشواهد القرآنية عن علم الأجنّة.

لما أشكّ ولما أشكّك في نيّته وأمثاله، ولكن من الواضح أنّ الشيطان يستعملهم مطايا في الصدّ عن تدبّر كتاب الله على منهاج النبوّة والصّفوة من الخلفاء والصّحابة والاتباع.

8) أمل عدم المساواة بين الشيخ علي المظنّطاوي رحمه الله وبين د. زغلول النجار؛ فالأول عالمٌ بشرح الله وداعٍ إلى الله على بصيرة، ومِعروف بصحة المعتقد وصحة العبادة، ومهنته القضاء الشرعي والدعوة، وهوايته الأدبية لم تخرج به عن منهج النبوة في الدين والدعوة فيما يتعلق بأصول الدين، ولم يأت بجديد في المنهاج ولما في الوسيلة، ولكن الله وهبه لساناً وقلماً مثل مزامير آل داود يجذب القارئ والمستمع إليه.

ولما جُديدي في الدين منذ انقطع الوحي بموت محمد صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت على لكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) وقال صلى الله عليه وسلم: "ترجيت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله وسننّي" وقال: "عليكم بسننّي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة"، وكانت وظيفته وغاية وجوده عبادة الله والدعوة إليه بما أوحاه الله إليه أداءً له وبياناً له؛ لتبين للناس ما نزل إليهم؛ وقبول الفكر الجديد المنحرف في التأويل استدراك على الله وشرعه واتهام لرسوله بالتقصير في البيان.

9) هذا الفكر المنحرف في التأويل - مع افتراض حسن النّيّة - تسويل من النفس ووسوسة من الشيطان لصرف الناس بالفكر عن الوحي والمظنّ عن الميقين والمفتنون المديونية عن علوم الشريعة وعلمائها، (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) وصرف الناس عن الإيمان بالغيب إلى الإيمان بالشهادة، والله أعلم بما يصحّ عباده: (وما من عن أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون)، (إن نشأ نزل على هم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين).

10) ظنّ أحمد ديدات قبل زغلول النجار أن إحاطته بالإنجيل تغنيه عن الإحاطة بشرح الله ومنهاج نبيّه في تبليغه، وظنّ كثير من المصحفيين والعوام وأشباههم من طلاب العلم أنه أت بما لم تستطعه الأوتل، ولم يسألوا عن اعتقاده ولما عن مدى التزامه بالسنة ومخالفته لأعدائها، وخالف نصوص كتاب الله وأوامره تجاوز الله عنه في مجادلة أهل الكتاب: (ولّا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن). (وجادلهم بالتي هي أحسن)، على العموم، (ولّا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم)، وكانت النتيجة أن تحرك مناظروه للرد عليه فاتهموا كتاب الله بالتناقض والركاكة وألّفوا سوراً يدعون أنها مثله.

لم يقع زغلول النجار في المجادلة بالأسوأ ولم يقع أحمد ديدات في التأويل المنحرف - فيما أعلم -، ولكن كلاً منهما خالف - ما يسميه تركي السديري - (الاجتهاد السلبي الواحد) ونسي المعيار الواحد المصحح: نصوص الوحي بفهم أئمة السلف. وبدون وحدة المعيار يتفرق المسلمون على دين الله ووحيه وكلماته بتفرق وتعدد واختلاف المعايير الفكرية: (كل حزب بما لديهم فرحون). وفقكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كتبه/ سعد بن عبد الرحمن الحصريّ - الرسالة رقم/226 في 1423/10/27هـ.